
مادة
النحو والصرف
(الجزء الثاني)
الأستاذ الدكتور محمد العمري


أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية





المحاضرة الثالثة عشرة



نشأة الصرف



نشأة الصرف

الصرف جزء من النحو، ولذلك تزامنا في النشأة

قال ابن جني:

"لا تكاد تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره".

قال الرضي:

"واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة".

نشأة الصرف



قال أحمد حسن كحيل

"المتقدمون يرون أن التصريف قسم من النحو، وأن مدلول النحو عام يشمل جميع القواعد والمسائل التي تتعلق بآخر الكلم العربية وغير الآخر، ولهذا عرفوا (النحو) فقالوا: (علم يبحث عن أحوال الكلم العربية إفرادًا وتركيبًا)؛ فالنحو بهذا الإطلاق شامل لمباحث الصرف جميعها".



سبب ظهور الصرف

ظهور اللحن في الأبنية، في القرن الأول الهجري، هو سبب انقداح فكرة وضع علم الصرف؛ لأن شيوع اللحن فيها يترتب عليه محاذير ذات عواقب خطيرة، ومآلات فاسدة، هي:

فساد الملكة اللغوية عند أبناء العرب.

تغيير لغة القرآن الكريم.

استغلاق فهم النصوص اللغوية عامة والدينية منها خاصة على الأجيال من أبناء المسلمين (من العرب وغيرهم).



نقلت لنا نماذج من اللحن الصرفي، منها:

1

روى الجاحظ وابن قتيبة أن أعرابيًّا صلَّى خلف إمام بالبصرة، فسمعه يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ ﴾البقرة: ٢٢١، بفتح التاء من ﴿ تُنكِحُواْ ﴾، فقال الأعرابي: سبحان الله! هذا قبل الإسلام قبيح؛ فكيف بعده؟ فقيل له: إنه لحن، والقراءة ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ فقال: قبحه الله! لا تجعلوه بعدها إمامًا؛ فإنه يحل ما حرم الله.

2

سمع أبو عمرو بن العلاء رجلا ينشد قول المرقش الأصغر:

ومن يلقَ خيرًا يحمد الناسُ أمرَه   ومن يغوَ لا يعدم على الغَيِّ لائما

فقال: أقومك أم أتركك تتسكع في طمتك؟

فقال: بل قومني.

فقال: قل: ومن يَغوِ، بكسر الواو.



قال الجاحظ

3

"قيل لنبطي: لم ابتعت هذه الأتان؟

قال: أركبها وتلَدُ لي.

فجاء بالمعنى بعينه، ولم يبدل الحروف بغيرها، ولا زاد فيها ولا نقص، ولكنه فتح المكسور حين قال (وتلَدُ لي)، ولم يقل: (تلِدُ لي)".



واضع علم الصرف

في ذلك ثلاثة أقوال، هي:

- معاذ بن جبل الأنصاري ﵁ (ت: 18هـ)
- علي بن أبي طالب ﵁ (ت: 40هـ)
- معاذ بن مسلم الهراء (ت: 187هـ)



واضع علم الصرف

معاذ بن جبل الأنصاري ﵁ (ت: 18هـ)

1

قال السيوطي:

"وقد وقع في شرح القواعد لشيخنا الكافيجي (ت: 879هـ) أن أول من وضعه معاذ بن جبل، وهو خطأ بلا شك، وقد سألته عنه فلم يجبني بشيء".





علي بن أبي طالب ﷺ (ت: 40هـ)

2

ذكر ذلك:

- الشيخ أحمد الحَمَلاوي (ت: 1351هـ)، في كتابه شذا العرف، قال عن الصرف: "وواضعه معاذ بن مسلم الهرَّاء، بتشديد الراء، وقيل: سيدنا علي كرم الله وجهه".
- الأستاذ علي عبد الرزاق (ت: 1386هـ)، في كتابه (أمالي علي عبد الرزاق في علم البيان وتاريخه) وهو دروس أملاها على طلابه في الأزهر.



واضع علم الصرف

معاذ بن مسلم الهراء (ت: 187هـ)

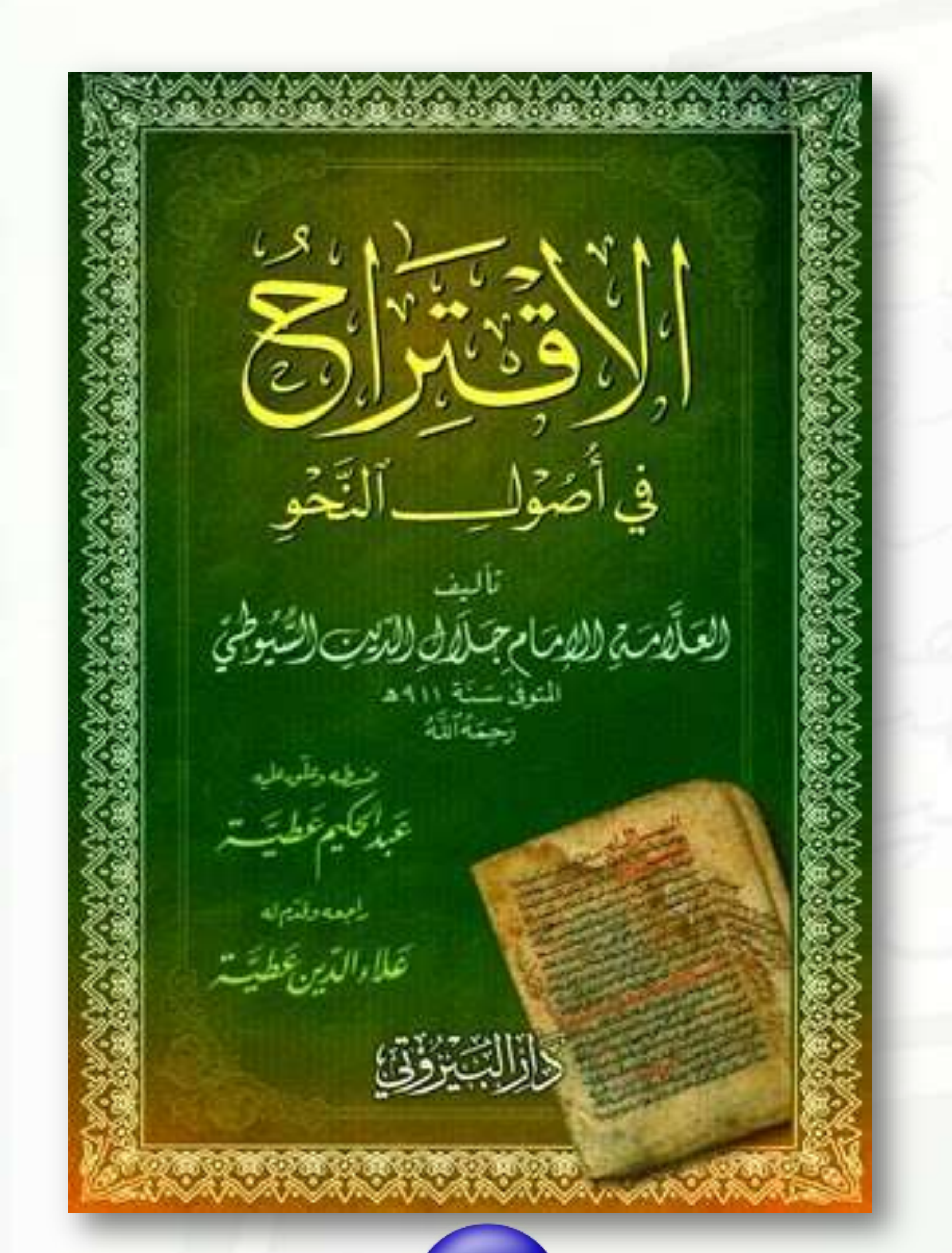
3

ذهب إلى ذلك السيوطي في ثلاثة من كتبه، هي:

- الاقتراح في علم أصول النحو.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.



واضع علم الصرف

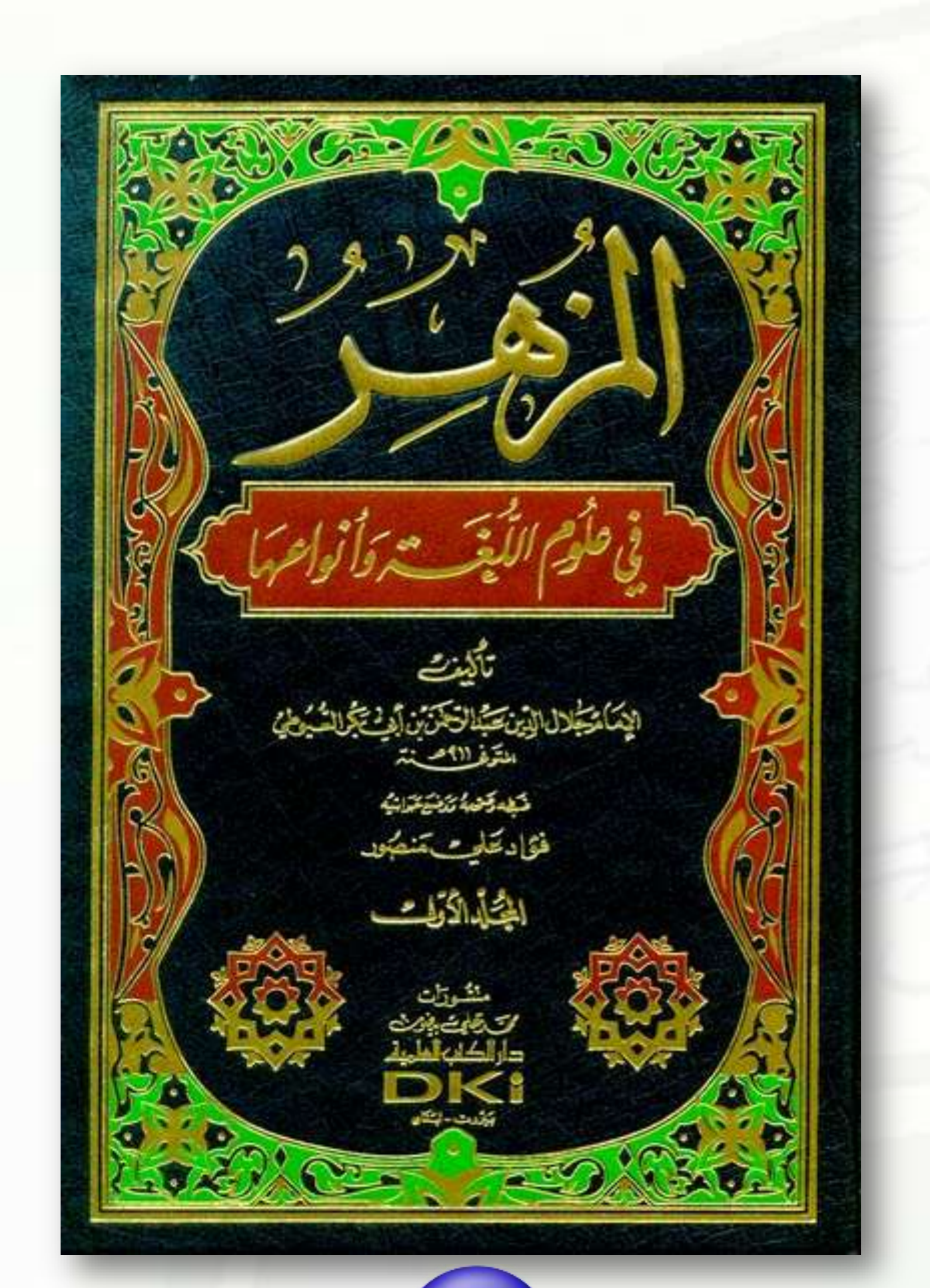


قال السيوطي في الاقتراح:

"واتفقوا على أنَّ معاذ الهراء أول من وضع التصريف".



واضع علم الصرف



قال السيوطي في المزهر، وقد ذكر أبا جعفر الرؤاسي:

"وكان له عمٌّ يقال له معاذ بن مسلم الهراء، وهو نحوي مشهور، وهو أول من وضع التصريف".



قال السيوطي في ترجمة معاذ الهراء في بغية الوعاة:

"كان أبو مسلم مؤدِّب عبد الملك ابن مروان قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف أنكره، فقال:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني   حتى تعاطوا كلام الزنج والرومِ
لمَّا سمعت كلامًا ليس يعجبني   كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني   من التَّقحُّم في تلك الجراثيم



قال السيوطي في ترجمة معاذ الهراء في بغية الوعاة:

فأجاب معاذ هذا:

عالجتها أمرد حتى إذا شبت ولم تعرف أباجادها
سميت من يعرفها جاهلا يصدرها من بعد إيرادها
سهَّل منها كل مستصعب طود علا أقران أطوادها



واضع علم الصرف

وكان أبو مسلم قد جلس إلى معاذ، فسمعه يقول لرجل: كيف تقول من ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم: ٨٣: يا فاعل افعل؟ فقال له الأبيات السابقة.

ذكر ذلك كله الزُّبيدي.

قلت: ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا".



خلاصة

الصرف شريك النحو في ظروف نشأته وسبب وضعه وبداياته.

لا نعلم على سبيل اليقين من قدح فكرة وضع علم الصرف (بمعناه المستقل).

ما قيل عن واضع علم الصرف لا يستند إلى أي دليل أو حتى قرينة.



مراحل علم الصرف



مراحل علم الصرف

- لا يمكن فصل النحو عن الصرف في مرحلتي (النشأة) و(النمو)
- الصرف كان حاضرًا في نظرة الخليل الشاملة لعلوم اللغة
- (الصرف) ظهر كاملًا أو شبه كامل في كتاب سيبويه:

يقول محمد عبد الخالق عضيمة:

"عصفت حوادث الأيام بالكتب التي سبقت تأليف كتاب سيبويه، فلم يصل إلينا منها سوى أسمائها، وأقدمها كان في موضوع صرفي، وهو (كتاب الهمز) لعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (المتوفى سنة 117هـ)، ويعتبره الزبيدي في الطبقة الثالثة البصرية، ويعتبر سيبويه في الطبقة السادسة منها.

ثم وافانا كتاب سيبويه مستوعبًا أبواب النحو والصرف، حتى مسائل التمارين، وما استطاع أحد ممن جاء بعده أن يزيد عليه بابًا جديدًا".



الصرف في كتاب سيبويه

- فهرس الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة لمسائل الصرف في كتاب سيبويه في 265 صفحة
- البحث الصرفي في كتاب سيبويه استوفى جميع المكونات:

الصرف التنظيري:

- حصر أبنية الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة.
- دراسة أحوال تلك الأبنية من حيث تحولاتها المعنوية واللفظية.
- دراسة ما يعرض لها عند التركيب ممَّا ليس بإعراب ولا بناء.

الصرف التطبيقي:

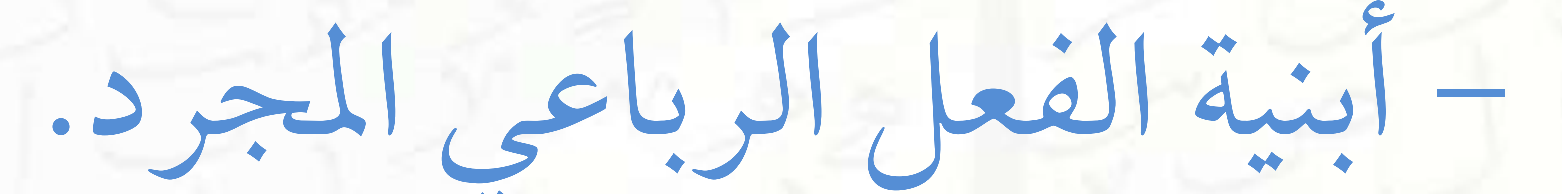
- مسائل التمارين.



الصرف التنظيري في كتاب سيبويه

(1) حصر أبنية الأسماء والأفعال، وتقسيماتها

- أبواب الفعل الثلاثي المجرد مع مضارعه:
(باب نصر، باب ضرب، باب فتح، باب علم، باب كرم، باب حسب)



- أبنية الفعل الرباعي المجرد.
- أبنية الأفعال المزيدة.
- أبنية الاسم الثلاثي.
- أبنية الاسم الرباعي المجرد.
- أبنية الاسم الخماسي المجرد.
- أبنية الأسماء المزيدة.
- أبنية المصادر.
- أبنية جموع التكسير.



قال ابن جني: باب القول على فوائت الكتاب



اعلم أن الأمثلة المأخوذة على صاحبه سنذكرها ونقول فيها ما يدحض عنه ظاهر معرتها لو صحت عليه. ولو لم تكن فيها حيلة تدرأ شناعة إخلاله بها عنه، لكانت معلاة له لا مزراة عليه، وشاهدة بفضله ونقص المتتبع له بها لا نقصه، إن كان أوردها مريدًا بها حط رتبته، والغض من فضيلته؛ وذلك لكلفة هذا الأمر وبعد أطرافه، وإيعار أكنافه أن يحاط بها، أو يشتمل تحجر عليها.



وإن إنسانًا أحاط بقاصي هذه اللغات المنتشرة، وتحجر أذراءها المترامية، على سعة البلاد، وتعادي ألسنتها اللداد، وكثرة التواضع بين أهليها من حاضر وباد، حتى اغترق جميع كلام الصرحاء والهجناء، والعبيد والإماء، في أطرار الأرض، ذات الطول والعرض، ما بين منثور إلى منظوم، ومخطوب به إلى مسجوع، حتى لغات الرعاة الأجلاف، والرواعي ذوات صرار الأخلاف، وعقلائهم والمدخولين، وهذاتهم الموسوسين، في جدهم وهزلهم، وحربهم وسلمهم، وتغاير الأحوال عليهم، فلم يخلل من جميع ذلك، على سعته وانبثاثه وتناشره واختلافه، إلا بأحرف تافهة المقدار، متهافتةٍ على البحث والاعتبار - ولعلها أو أكثرها مأخوذة عمن فسدت لغته، فلم تلزم عهدته= لجدير أن يعلم بذلك توفيقه، وأن يخلي له إلى غايته طريقه".



الصرف التنظيري في كتاب سيبويه

(2) رصد أحوال البنية ودراستها: الأحوال اللفظية

- القلب المكاني
- المجرد والمزيد: (زيادة الإلحاق، زيادة التضعيف، الزيادة بحروف الزيادة العشرة)
- حركة حرف المضارعة.
- الفعل المهموز، والمضاعف.
- الفعل المثال والأجوف والناقص، واللفيف بنوعيه.
- باب التضعيف.
- الاسم المقصور والمنقوص والممدود.
- تخفيف الهمزة
- الإمالة
- الابتداء (التخلص من الساكنين)
- الإعلال (بالقلب، بالحذف، بالنقل)
- الإبدال
- الادغام



الصرف التنظيري في كتاب سيبويه

2) رصد أحوال البنية ودراستها: الأحوال المعنوية

- معاني صيغ الزيادة:

(أَفعَلَ، فعَّل، فاعل، انفَعَل، افتَعَل، تَفَعَّل، تَفاعل، افعالَّ، افعوعل، استفعل)

- الاشتقاق:

المصدر الأصلي، المصدر الميمي، المصدر الدال على الهيئة، المصدر الدال على المرة.

اسم الفاعل، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، اسم المكان، اسم الزمان، اسم الآلة.

- الجمع:

الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعي وجمع التكسير وجمع الجمع

- التصغير.

- النسب.



الصرف التنظيري في كتاب سيبويه

(3) رصد أحوال أواخر الكلمات مما ليس بإعراب ولا بناء ودراستها



- باب الوقف
- باب الابتداء (التخلص من التقاء الساكنين في كلمتين)
- باب الادغام (الادغام في كلمين)



مسائل التمارين

في الكتاب 49 مسألة من مسائل التمارين



خلاصة

البحث الصرفي في كتاب سيبويه شامل في نظرته، كامل في فروعه وتفصيلاته الرئيسة.

البحث الصرفي فيه اعتنى بدقائق التفصيلات (الصحيح والمعتل والمضعف، المطرد والشاذ).

الزيادات عليه انحصرت في نطاق ضيق (استدراك مثال لبناء عده مهملا، استدراك معنى لصيغة، وضع مصطلح ...).

البحث الصرفي فيه تجاوز التقعيد للمسائل الواقعية إلى المسائل المفترضة.



نماذج من البحث الصرفي في كتاب سيبويه

قال سيبويه:

1

"وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالِغوا في الأمر، مُجراه إذا كان على بناء فاعلٍ، لأَنَّه يريد به ما أراد بـ(فاعل) من إيقاع الفعل، إلا أَنَّه يريد أن يُحدِّثَ عن المبالغة، فما هو الأصلُ الذي عليه أكثُر هذا المعنى: (فَعولٌ، وفعَّال ومفعال، وفَعِلٌ، وقد جاء: فَعيلٌ كَرحيمٍ وعَليم وقَدير وسَميع وبَصير)".



نماذج من البحث الصرفي في كتاب سيبويه

قال سيبويه:

2

"هذا بابُ التصغير
اعلم أنَّ التصغير إنَّما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة، على (فُعَيلٍ)، و(فُعَيعِلٍ) و(فُعَيعِيل).
فأمَّا (فعيلٌ) فلما كان عدة حروفه ثلاثة أحرف، وهو أدنى التصغير، لا يكون مصغَّرٌ على أقل من (فُعيلٍ)، وذلك نحو (قُيَيسٍ)، و(جُميلٍ)، و(جُبيلٍ) وكذلك جميع ما كان على ثلاثة أحرف".

نماذج من البحث الصرفي في كتاب سيبويه



قال سيبويه:

2

"باب اشتقاقك الأسماء
لمواضع بنات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها

أما ما كان من (فَعَل يَفعِل) فإن موضع الفعل (مَفعِلٌ)، وذلك قولك: (هذا محبسنا، ومضربنا، ومجلسنا)، كأنهم بنوه على بناء (يَفعِل)، فكسروا العين كما كسروها في (يَفعِل).

فإذا أردت المصدر بنيته على (مَفعَل)، وذلك قولك: (إن في ألف درهم لمضربًا)؛ أي: لضربًا، قال الله عز وجل: ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ القيامة: ١٠، يريد: أين الفرار؟، فإذا أراد المكان قال: (الـمَفِر)، كما قالوا: (الـمَبيت) حين أرادوا المكان؛ لأنها من (بات يبيت)، وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١١، أي: جعلناه عيشًا".


أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية